

« ومات من أحبني
مات أخي الذي أحبني ولم يكن
هناك من أحبني سواه »

والشاعرة تصرح بذلك ، لا لأنها لم تعرف الحب ، فليد سمعته من كثيرين ، ولكنها بقيت عطشى ، كأنها كان الذي بلغته سراب ، وهي تأبى إلا أن تجد كل ذلك وهما ، لان « الحب عند الآخرين جف وانحصر » .

وبهذا ايضا تقف مواجهة « الباب المغلق » لتحدث الملك ، بعد ان كان « أخا » و« صديقا » و« حبيبا » خاصة في قصائدها الى « ج . هـ » ، مستعطفة منه الرحمة ، التي تنقذها من الخوف ، والحب الذي يضيء مصباحها المطفأ في صدرها .

والملك يرمز في قصيدة « أمام الباب المغلق » (١٩) الى الاله ، وهي القدرة التي طالما توجهت اليها الشاعرة . ولكنها الآن لا تواجهها بالشكوى والاستجداء فحسب ، بل بالغضب ايضا ، ولكنها في النهاية لا تجد الا الخيبة أمام الباب المغلق :

« عينا ، لارجع مدى لا صوت
مودي . لا شيء هنا غير الوحشة
والصمت وظل الموت » .

(٦)

لدى فدوى طوقان قصيدة قديمة في مجموعتها « وجدتها » تحت عنوان « نداء الارض » (٢٠) تتحدث فيها عن انسان فلسطيني « تمثل أرضا نمتسه وغذته » في طفولته وشيخوخته يواجه الغزو الاجنبي لارضه ، ولاستلابها . وفي المنفى يصر على العودة ، ولكنه يعود تحت جناح الليل ذاهل الخطو ،

« الى ابن لم يدرك . كان الضنين
نداء الح به واستبد »

ولكن رائحة الارض تدفعه اليها ، فيهبوي عليها ليثم ثراها ويضمخ بها صدره ويسمع همسها « رجعت الي » فيجيبها :

« - رجعت اليك وهذي يدي
سأبقى هنا ، سأبوت هنا ، هيني قدري »

فتهيء له قدره ، حيث تبصره عيون العدو ، وترديه قتيلاً في طلقتين .

كانت هذه القصيدة اولى هواجس « الفارس - الحلم » لدى الشاعرة . ولكنه ذو طابع رومانسي قابل للتلاشي . ولقد كررت هذه الصورة لدى شعراء الجيل السابق ، وفي معظم القصائد الفلسطينية الوطنية قبل حزيران . ولم تتحول تحولا ثوريا الا بعد حزيران ، وبوجه الخصوص على يد شعراء الارض المحتلة انفسهم ولقد نالت الشاعرة نصيبا من ذلك التحول ، ولكنه نصيب يسير اذا ما قورن بنصيب زملائها الاخرين .

في « الليل والفرسان » مجموعتها الاخيرة ، وجميع قصائدها كتبت بعد حزيران ١٩٦٧ ، تظل معظم القصائد خاضعة لارث الشاعرة القديم . فالندب والشكوى والبكاء لها نسبة وافرة ، ولكنها الآن بسمة وطنية ، ولغرض وطني ، بالرغم من جوهرها الرومانسي الحاد ، تقول في قصيدتها « الطاعون » (٢١) ، وهو دون شك طاعون الاحتلال :

٢٠ - وجدتها ، ص ٨ .

١٩ - المصدر السابق ، ص ٥٥ .

٢١ - الليل والفرسان ، ص ١٢ .